المضاعفات النفسية والاقتصادية والأسرية للأمراض المزمنة فى القرآن الكريم

بقلم:
د.صلاح أحمد حسن
أستاذ العيون
طب أسيوط

الأمراض المزمنة - بعيدا عن شقها الجسدى - لها توابع سلبية على الحالة النفسية والمزاجية والاقتصادية والأسرية للمريض، والتى يجب الاهتمام بها، بنفس قدر الاهتمام بالعلاج الجسمانى، وقد استعاذ النبى (صلى الله عليه وسلم) من شرور هذه الأمراض، ففى الحديث: «أعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون والجذام، والبرص، وسيىء الأسقام» (صحيح). والقرآن الكريم أول من أشار إلى تأثير الأمراض المزمنة على المريض من ناحية، وعلى أهله من الناحية الأخرى، وكان ذلك مع نبى الله أيوب (عليه السلام)، يقول تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣، ٨٤. ويقول تعالى أيضا: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ ص: ٤١ - ٤٤.

أولاً: الآثار النفسية للمرض المزمن:

● الضر: لغة - ما كان من سوء حال أو فقر أو شدة فى بدن، ويشتق من الضرّ - الضرر، وهو الضيق والعلة تقعد عن جهاد ونحوه، ويشتق أيضا : الضراء: وهى الشدة والزمانة وكل حالة تضر، ويشتق أيضا: الضرورة - وهى الحاجة والشدة لا مدفع لها. والضرّ: فقها خلاف النفع، قال الأزهرى : كل ما كان سوء حال ، وفقر ، وشدة في بدن، ويقال : مسنى الضرّ: أى المرض. فجاء الإعجاز اللفظى فى القرآن الكريم، فى كلمة واحدة هى (الضرّ) لتحوى كل الآثار النفسية السيئة للمرض، من سوء حال، وفقر، وضيق، وعجز عن الجهاد من أجل العيش، ودفع المريض إلى شدة الحاجة، وعدم المقدرة على الدفع لها، وقد استعاذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذه الدائرة الجهنمية من الإحباطات بسبب المرض والعجز بكل مسبباته وأنواعه، ففى الحديث الشريف: «اللهم إنى أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز، والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال» (صحيح).

● **المس**: لغة - الجنون، وقد يكون بمعنى مسّ الجلد أو الغشاء المخاطى بمادة كاوية بغرض العلاج، وقال المفسرون: إن نبى الله أيوب (عليه السلام) قد أعزى سبب بلائه إلى مسّ الشيطان، تأدبا مع الله تعالى، وإن كانت الأشياء كلها خيرها وشرها من الله تعالى.

● **النصب**: لغة - الإعياء والتعب، يقال نصبه المرض، ومن المعروف طبيا أن الأمراض المزمنة تستهلك مخزون الجسم من الطاقة، وتضعف جهازه المناعى، وتقلل المقدرة على بناء الأنسجة التالفة، فيعانى المريض من التعب والإعياء، وطول فترة النقاهة.

● **العذاب**: لغة العقاب والنكال، وكل ما شق على النفس.

ثانيا: الآثار الاقتصادية للمرض المزمن:

روى ابن أبى حاتم وابن جرير عن أنس بن مالك، أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة»، وقال المفسرون: كان لنبى الله أيوب (عليه السلام) الكثير من الأولاد والمال، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط البلاء والمرض على جسمه فصبر، وقال ابن مسعود: مات أولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث، ومن المعروف أن للأمراض المزمنة آثارا اقتصادية سلبية على المريض وأسرته، نتيجة لقلة أو توقف الدخل، وما يقابل ذلك من زيادة فى الإنفاق على العلاج ، وقد عوض الله تعالى أيوب (عليه السلام) بعد شفائه عن كل الخسائر الاقتصادية التى لحقت به بسبب مرضه، قال ابن مسعود: لما عوفى أيوب، ولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات، ثم بارك الله له فى تجارته، وعادت إليه ثروته أضعافاً مضاعفة، وقد روى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): بينما أيوب يغتسل عريانا، خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه، فناداه ربه عز وجل : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال بلى يارب، ولكن لا غنى لى عن بركتك (صحيح).

ثالثا: الآثار السلبية الأسرية للمرض المزمن:

قال النسفى أن أيوب (عليه السلام) مكث فى البلاء ثمانى عشرة سنة، فقالت له امرأته يوما: لو دعوت الله عز وجل! فقال لها: كم لبثنا فى الرخاء؟ فقالت : ثمانين سنة، فقال: إنى أستحى من الله أن أدعوه وما مكثت فى بلائى المدة التى مكثتها فى رخائى. ولأن المرض المزمن يؤثر سلبا على الحالة النفسية والمزاجية للمريض من جهة، وعلى المقربين له كالزوجة، من جهة أخرى ، فإن كثيرا من المضايقات والصدمات والأخطاء قد تحدث بين الزوجين. ومن ذلك أن خلافا قد وقع بين أيوب وزوجته، فحلف أن يضربها مائة سوط إذا برىء من مرضه. فلما برأ أيوب، تجلت رحمة ربه فى أمره بعدم الحنث بالحلف، وفى نفس الوقت بتدبير وسيلة لا تضرّ بامرأته، وهى الضرب بحزمة من الحشيش بها مائة عود.

رابعا: دور الطب البديل فى علاج الأمراض المزمنة:

أمر الله تعالى نبيه أيوب (عليه السلام) بالركض برجليه فى عين خاصة من الماء، وكذلك الشرب منها، فأتم الله عليه نعمة الشفاء. ومن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، الإشارة إلى بعض وسائل الطب البديل التى تستخدم الآن فى علاج بعض الأمراض المزمنة - خصوصا الجلدية منها - كالصدفية والإكزيما وغيرهما، وكذلك أمراض الروماتويد والذئبة الحمراء، وخشونة المفاصل وتيبسها، وذلك عن طريق الحمامات العلاجية لمختلف أنواع المياه، مثل الكبريتية، والأوزونية، والمعدنية، والمياه العادية بتغيير درجة حرارتها، وإجراء التمارين الرياضية المختلفة فيها، وكذا ببخار الماء الساخن (الساونا)، وغيرها. كما يفيد شرب الماء بكثرة فى علاج الكثير من الأمراض المزمنة، مثل أمراض الكلى، والكبد، وحصوات المسالك البولية، والنقرس، وغيرها.